« وعلى الطريق كانت الوجوه تهتف في تشنج متلهفة على السلام ، لان ذلك بات الطريق الوحيد للنجاة ٠٠٠ والحياة الآمنة ، بعد ان اذاقتهم حرب اكتوبر وجيعة الحرب وآلامها ٠٠٠ ، كان في دمعة الجندي وابتسامة الطفل اقتناع حقيقي بخطوة السادات في طريق السلام العادل » (١)

السادات لا يحاور معتمدا على الفراغ ، بل على حرب اكتوبر التي ابدع كيسنجر في استثمارها واجهاضها واستخدامها ، بطل اكتوبر لا ينطلق الا من الانتصار والقوة والحضارة ٠ واذا اعوزنا اليقين فهناك توفيق الحكيم « اما الان وقد اثبتنا قدراتنا العسكرية ، وتخطينا مرحلة الخوف من المجهول ، وحطمنا اسطورة جيش اسرائيل الذي لا يهزم ، واستوعبنا احدث الاسلحة ، وتفوقنا في نوع الاداء على ترسانة السلاح في اسرائيل ٠ اليوم صرنا نتحدث بلغة اخرى تتفق وما حققناه من مكانة عالمية » (٢) ٠

وهذه المكانة العالمية ـ وخاصة لدى البيت الابيض وموبوتو وشاه ايران ـ تسمح بكسر « الحاجز النفسي » وتمهد لزيارة محمودة العواقب ٠ كل هذا بعد حرب اكتوبر التي « حطمت الخرافة العسكرية الاسرائيلية ، وردت للعرب كرامتهم بعد هوان ، وحطمت جدار الشك والخوف وعدم الثقة ٠ لهذا فان زيارة السادات حازت على اعجاب العالم كله « الا من كان في قلوبهم مرض » اما الحاج انيس منصور فيذهب ابعد من اقرانه « ان حرب اكتوبر اعظم انتصارات مصر في كل العصور » (٣)

لسنا هنا بصدد تحليل حرب اكتوبر التي بذل فيها الشعب المصري والشعب السوري والفلسطيني وغيرها من الشعوب العربية جهدا وعرقا وتضحية وشجاعة ٠ ان ما نعالجه هو استثمار الطبقة العاجزة في مصر لحرب اكتوبر بعد ان اجهضتها ٠ استثمرتها في البدء للانفتاح على البيت الابيض وكل ما هو اظلامي ، والان تستثمرها للانفتاح على الكنيست الاسرائيلي ٠ وهذا الاستثمار يدفع الى معالجة جديدة لحرب اكتوبر ٠ فالصحافة الساداتية تؤرخ الان للبشرية بدءا من حرب اكتوبر ، وكذلك للعلاقات الدولية ولتاريخ الشرق الاوسط ، بل يشتط بعضها ويؤرخ ليقظة « العالم الثالث » بدءا من هذه الحرب ٠

لكن منطق التاريخ لا يساوي منطق الصحافة ، فالحرب التي تمهد للاستسلام بطولة في الوهم ، بطولة طبقة لم تعش عمرها الا هزيمة ٠

منطق صحافة تبشر للاستسلام لا ينطلق من الواقع ، بل من واقع كلمة مضللة ، يستحيل لديها الواقع الى كلمات والكلمات وقائع ٠ لذلك بطولتها وهم وهزيمتها حقيقة ٠ فلكل طبقة مقالها ، يقول المقال الساداتي « غزو السلام الناجح » ويقول المقال التاريخي « رحلة الاستسلام وتثبيت الهزيمة » ، ويقول المقال الاول « حاجز العقد النفسية » بينما يقول الثاني « الصراع بين الصهيونية وحركة التحرر » ويعود الاول فيكرر « اصحاب العقول المتخلفة » فيرد عليه الثاني « القوى الرافضة للاستسلام » كما يقول الاول « عملاء موسكو » فيصححه الثاني « القوى الوطنية العربية » ، ويتابع المقال الاول بطولته الوهمية فيقول « انجزت الزيارة مهماتها وكانت نجاحا كاملا » فيجيئه التصحيح « انجزت طبقة دورها والتحمت بالعدو » ٠

ينطلق المقال الاول من بطولة وهمية ، ومن زعيم خارق ٠ فما صفات هذا الزعيم الذي تحبه البشرية جمعاء ما عدا « اصحاب القلوب المريضة » ؟ ٠